نوافذ الفكر

النافذة الأولى

كانت الساعة الثالثة فجرًا عندما انبثق هذا الإلهام من أعماق ذاكرتي، موقظًا شغفا لم أعد أملك منه إلا القليل، شيئا أدركته متأخرا.

قد عرفت ذلك الوعي، وذلك الانكسار الداخلي، عندما اختلفت مع والدك، كان طموحه يسكنه كقوة دافعة تدفعه نحو المدينة، بينما كنتُ قد عشتُ تلك الحياة، وعرفتُ أثقالها، كل شيء كان سريعًا، كل شيء كان مُعقدًا، ومليئًا بالضغوط، لكنني عدت إلى الريف حيث زرت أرضي، ورأيت النور يسقط على وجهها وكأنما يعيد لي الأمل، زراعتُها، وربيّتُ حيواني، وكونتُ ثروة من جهد يدي، هنا وجدت معنى حقيقيًا للحياة.

لكن والدك لم يرَ ذلك، بالنسبة له كانت تلك الأعمال البسيطة مجرد تكرار ممل، كان ينظر إلى الأفق، حيث تطل عليه أحلام أكبر، لماذا يُثقل نفسه بمثل هذه الأعمال المُتعبة ، بينما يمكن أن يطمح إلى شيء أعظم؟! هنا كان صدام الأفكار، صراع بين ماضٍ عشته وتجربة أغتنيت بها، وبين مستقبل يُبشّر بأمل أكبر، ودار صراع أيضا حول مفهوم الحياة، أخبرته بأن الحياة ليست مجرد سعي وراء النجاح، وأخبرني بأنها ليست مجرد علاقة عميقة مع الأرض، ومع ما تقدمه لنا.

أحيانًا يأتي الوعي من تلك الأوقات الصعبة، لذلك أريدك أن تعرف أن كل واحد منا يمتلك نوافذه الخاصة التي تطل على العالم، بعض النوافذ تفتح على آفاق واسعة، بينما أخرى قد تكون ضيقة، لكنها مليئة بالضوء.

لكنني فكرت بيني وبين نفسي، هل من الممكن أن أترك لك إرثًا آخر، إرثًا لا يمكن أن يتلاشى مع الزمن؟! إرثًا فكريًا، قصة تتجاوز جدران هذا البيت، وتضيء لك الطرق.

وأنا هنا، في هذا البيت المتهالك، أترك لك هذه القصة كإرث لا يزول، لعلها تساعدك على فهم العالم وتقبل ما لا يمكن تغييره، بينما تسعى لتحقيق ما تستطيع.

*****

في قرية هادئة، كان لجلال منزل يحتوي على أربع غرف، وكل غرفة تعكس عالمًا مختلفًا لأبنائه، وكانت نوافذ هذه الغرف تطل على بيت جارهم الكبير، نافذة الابن الأول كانت صافية، وتعكس أشعة الشمس كما تعكس روح التفاؤل في قلبه، بينما نافذة الابن الثاني تميزت ببقع بسيطة من الأوساخ، أما الابن الثالث، فقد كانت غرفته بلا نافذة، ويعيش في ظلام عزلته، بينما نافذة الابن الرابع كانت مغطاة بالظلال، وكأنها تخفي ع الماً من اليأس.

اجتمع الإخوة الأربعة في صالة الجلوس كالعادة، وبدأوا الحديث حول جارهم، فقال الا بن الأول بنبرة حماسية، كأنه يطلق طيور الفرح:

- هل رأيتم غسيل جارتنا؟! إنه ناصع البياض، كأنه يرقص تحت ضوء الشمس! أراه يرفرف كالأمل.

أجابه الابن الثاني عابسًا، وكأن الأوساخ التي تراكمت على نافذته قد استوطنت قلبه:

- لا أرى ما تراه، بل أرى بقعًا وعلامات تدل على الإهمال، ما تراه ناصعًا، أنا أراه ناقصًا.

في تلك اللحظة، نظر الابن الثالث، الذي لم تكن لديه نافذة إلى إخوته، وكأنّ صوته جاء من أعماق الوجود:

- أنتم تتحدثون عما شاهدتموه، وأنا لا أستطيع الحكم، إذ إنني محاصر في عتمة غرفتي، فكيف لي أن أتخيل ما تخبرونني به؟....هل سألتم أنفسكم كيف أعيش؟!

أما الابن الرابع، فكان صوته عاصفًا، مفعمًا بالتشاؤم:

- كيف يمكنكم الحديث عن ناصع البياض أو حتى بقع خفيفة؟ ما أراه هو زبدة متعفنة، وشديد الاتساخ.

تعمق النقاش، وكل منهم تمسك برأيه كما تمسك الأشجار القوية بجذورها في وجه الرياح العاتية، وفي خضم هذه العواصف الفكرية، دخل والدهم، وكانت هيبته تتجلى كحكمة موروثة، استمع إليهم بعمق، ثم قال بهدوء:

- ليس بالضرورة أن تعكس رؤيتكم الحقيقة الكاملة، وإن كل منكم ينظر من نافذته الخاصة، وكل نافذة تحكي قصة مختلفة.

الحقيقة ليست مجرد صورة ثابتة، بل هي تجربة متغيرة، تتجلى في أبعاد متعددة، لتدركوا عمق الحياة يجب أن تخرجوا من غرفكم، وأن تخطوا خطوات نحو المجهول.

شعر الإخوة بدفء كلمات والدهم، وكأنها شعاع شمس يخترق غيومهم، فقرروا الخروج إلى الحديقة.

هناك اكتشفوا أن الغسيل بالفعل ناصع البياض، ويلمع كالأمل الذي يبعث في النفوس الحية، ورأوا كيف بدت الحقول خلف حديقة الجار، كانت كلوحة فنية تتجلى فيها ألوان الحياة، الأخضر، والأصفر، والأزرق، تداخلت الألوان كما تداخلت أفكارهم، واكتشفوا أن كل لون يحمل قصته الخاصة.

وهكذا أدركوا أن الحقيقة كانت أكبر بكثير مما رأوه من نوافذهم، وتعلموا أن الرؤية ليست مجرد نظرة سطحية، بل هي رحلة نحو الفهم، وتتطلب شجاعة للخروج من المناطق المريحة، لتلامس جماليات وتعقيدات الحياة، وأدركوا أن الاختلاف هو جزء من الوجود، وأن التفاهم والتعاطف يمكن أن يفتحا أمامهم آفاقًا جديدة.

يا بني الغالي لقد تشكلت هذه القصة في ذهني عندما رأيت أطفال الحي يلعبون لعبة ا لأرقام، حيث كانت ريم الكبرى بينهم، تتأمل الرقم الذي كتبته على الأرض، أما خالد وعلي يقفان متقابلين، وكأنما يجسدان صراع الأفكار، فقال خالد بحماسة، وهو يشير إلى الرقم كأنه يسلط الضوء على اكتشافه:

- إنه الرقم ستة! انظر.

رد علي باستغراب، كأنما يتحدى واقعًا مألوفًا:

- لا، إنه تسعة! أستطيع رؤية الشكل بالكامل.

مع تزايد الضحك الذي تحول إلى جدال، ارتفعت أصواتهم، حيث اعتبر كل منهما الآخر جاهلًا في نظره، وكان الأمر وكأنهما يحاولان أن يفرض كل منهما رؤيته الخاصة على ا لآخر، فقال خالد، وهو يلوح بيديه تعبيرًا عن عدم فهم علي:

- كيف يمكنك أن ترى تسعة؟! الأمر واضح كالشمس في السماء!

رد علي بانفعال، وكأن غضبه يسحب معه كل الشكوك:

- لكنني أرى تسعة! ... أنت المخطئ!

وقفت ريم بجانب خالد، مدافعة عن رأيه، مما جعل علي يشعر بالخذلان، فقال بوجه عابس:

- أنتما لا تفهمان! وإنكما غبيان.

للحق لو كنت بجانب علي سترى الرقم تسعة، وإذا كنت بجانب خالد سترى الرقم ستة، وريم كانت ترى خالد هو الفائز لأن رغبتها كانت في الرقم ستة، وكل منهما يتهم الآخر بـ الجهل، والغباء، والتحيز، فجعلتهم يتبادلون الأدوار، ويخرجون من نوافذهم الفكرية، فوجدوا أن الرقم يحمل وجهين.

ندرك من خلال هذه القصص أن الفهم الكامل يتطلب نظرة أوسع، فلو تمكن الجميع من

تجاوز أنانيتهم، والتواصل مع بعضهم، لاستطاعوا اكتشاف جوهر الحقيقة معًا، حيث تصبح التعددية مصدر غنى وليس مصدراً للصراع.

لو أنني أدركت هذه الحقيقة قبل رحيل والدك إلى المدينة، لما نشأ الخلاف حول العمل في الريف أو المدينة، لو فهمت مبكرًا أن ما أراه ليس بالضرورة ما يراه الآخرون، لتمكنا من خلق مساحة للتفاهم.

نصيحتي لك يا حفيدي، هي أن تتحلى بالقدرة على قبول اختلاف الآراء؛ لأن الحقيقة ليست ثابتة، بل تتغير بتغير الزوايا التي ينظر منها الأشخاص، لذا لا يجب أن تقتصر نظرتك إلى العالم على ما تراه من نافذتك الخاصة، بل من المهم أن تنظر إلى الوجود كما هو، وأن تتأمل في تنوع التجارب، والمشاعر التي تشكل حياة الآخرين، فكل منظور هو عالم بحد ذاته، وكل إنسان يحمل قصة تستحق الاستماع.

وإن هذا التفاعل الغني بيننا هو ما يتيح لنا اكتشاف عمق الإنسانية، حيث يدفعنا التلا قي إلى تجاوز حدود أنفسنا، والانفتاح على آفاق جديدة كانت تخفى عنا، حينها ندرك أن الحياة ليست مجرد مشهد واحد، بل هي سمفونية متنوعة تتداخل فيها النغمات.

فلسفة الحياة تتطلب منا التواضع أمام تنوع الآراء، حيث تحمل كل فكرة في طياتها فرصة لإعادة تشكيل نظرتنا؛ وكل حوار يمثل دعوة لاستكشاف أعماق الذات والآخر، مما يجعلنا نكتشف الجوانب المخبأة في وجودنا، لهذا دعنا نتحلى بالشجاعة لنواجه اختلافاتنا، ونجعل من تلك الاختلافات نقطة انطلاق نحو عالم أكثر فهمًا وتواصلًا.

في هذا السياق، تتحول المحبة إلى قيمة سائدة، وتصبح نافذة تضيء لنا معاني جديدة تُغني تجربتنا الإنسانية، فعندما نتقبل تنوع الآراء ونتفاعل مع الآخرين بعمق؛ تُعيد تشكيل عالمنا، ونغرس بذور الفهم والتعاطف، مما يجعل الحياة تجربة غنية وملهمة، مليئة بالدروس، والأفكار التي تعكس جمال الإنسانية.

النافذة الثانية

تحت أضواء المدينة التي لا تنام، وفي ظلام غرفتي المخصص للكتابة، اندلعت حوارات داخل عقلي، وكأنني أستمع إلى صدى أفكاري تتردد بين شغف الذكريات، واستشراف المستقبل.

كان الشوق يعصر قلبي، كلما تذكرت رائحة التراب تحت الأمطار في قريتي، تلك المساحة التي لطالما احتضنتني، تركتها معتقدًا أن أحلامي ستزدهر في المدينة، حيث الفرص تتلألأ في كل زاوية، ولقد صدق حدسي، وحققت نجاحات باهرة، ولكنني خسرت ما لا يُقدّر بثمن، أصدقاء الطفولة، بساطة الحياة، ووالدي الذي كانت أفكاره تعصف بأحلامي.

كان أبي بصرامته المعهودة، يصر على أهمية الزراعة، وسقي الأرض، وفي خضم ضغوط الحياة، كنت أراها جهدًا بلا قيمة، روتينًا يفتقر إلى السحر.

في قلب الصراع، كان أبي قد عاش تجربة المدينة، وعاد منها محملًا بخساراته، لا بل بألم عميق يجعله يرفض فكرتي، كان يخشى أن أكرر تجربته الفاشلة، وعندما حاولت أن أشرح له أن لكل منا نظرته الخاصة، كان يرد بكلمات ثقيلة، تتدفق من قلب مُجَرَح، شعرت كأنما أصطدم بجدار صلب.

كنت بعد ذلك الصراع سأفقد الأمل، ولكن شعرت بقلبي يتمزق عندما رأيت ابني الصغير ، كأنما ألقيتُ بظلال ماضيّ عليه...لقد سألت نفسي، هل سأدع هذا الإرث من القلق و التعب يلاحقه؟!

لقد تركت القرية، وذهبت إلى المدينة بقلبي المليء بالأحلام، عملت أولا في محل صغير ، فرحت أقسم راتبي وكأنما أوازن بين الحلم والواقع، وأخفي جزءًا منه ككنزٍ سرّي، ثم استثمرت في شركة ناشئة التي بفضل الحظ والإرادة نجحت، وسرعان ما تحولت الأ موال القليلة إلى أموال تتيح لي شراء الأراضي والشاحنات، ولكن في خضم هذا النجاح، كانت هناك ثغرة عميقة في نفسي، شعور بفقدان الروح، فنما بداخلي رغبة قوية في مساعدة أبي، ولكن كبرياؤه كان أقوى من حنيني، أدركت من أخي أنه يشتاق لي، لكنه كان يكابر، وفي عمق قلبي كنت أبحث عن مصالحة.

عندما مرض أبي، كان قلبي يصرخ في حزن لم أشعر به من قبل، ركضت إلى قريتي

حيث استقبلني التراب كعناق دافئ، كنت أستشعر الطمأنينة، وأدركت أن ما فقدته في المدينة لا يُعوّض، وعندما زرته في المستشفى، جاءني صوت الحقيقة، يعبر عن اعترافه بفشله في إدراك مزايا الحياة في المدينة، رددت عليه بأن الحياة في القرية رغم مشقتها، تحمل سحرًا يتجاوز النجاح المادي.

أما عن ابني، فلما أعطاه أبي إرثًا فكريا، منحته نصائح تفيده؛ لأنه أراد أن يبدأ مشروعًا جديدًا في القرية، عملا يجمع بين عبق الماضي ورؤية المستقبل.

فعندما دعمته، شعرت أنني أشارك في رسم لوحات جديدة في مشهد الحياة، وكأننا نعيد بناء ما تهدم في أعماقنا، ونخلق مساحات جديدة من الأمل والنور، أدركت أن الصراع بين الأجيال يتجاوز مجرد الاختلافات السطحية بل يتعمق في صميم المفاهيم التي تحدد ما نحتاج إليه وما نتوق إليه، بينما يجسد ابني الروح التي عايشتها في الماضي، تجلت أمامي حقيقة عميقة: أن الحياة ليست مجرد سعي وراء النجاح المادي، بل هي رحلة معقدة تتطلب فهمًا عميقًا للذات، وتوازنًا دقيقًا بين الطموحات العريضة، وواقع الحياة المتقلب، فكل خطوة نخطوها، وكل تجربة نمر بها تضيف عمقًا إلى فهمنا لوجودنا، وتعزز من إعادة تشكيل رؤيتنا للمستقبل.

النافذة الثالثة.

تنفست الصعداء عندما استطعت الجمع بين ماضي الأجداد، وحاضرنا المتجدد، في لحظة من التأمل أدركت أنني أصبحت الجسر الذي يربط بين الكثير من المتناقضات، وكان قراري هذا نتيجة قراءة متمعنة لما كتبه جدي وقاله أبي لي، حيث تجسدت فيهما الحكمة والتجربة.

دعوني أروي لكم باختصار قصة جدي وأبي.

في شبابه، عاش جدي تجربة مؤلمة تركت في نفسه أثرًا عميقًا، حيث واجه خسارة فادحة في المدينة. تلك المحنة لم تكن مجرد نقطة تحول، بل كانت دعوة للعودة إلى قريته، حيث استجمع قواه واستعاد رابطته بالأرض، وبدأ رحلة شاقة نحو تحقيق النجاح. ومع ذلك لم يكن هدفه مجرد تحقيق الثراء، بل كان يسعى لتوريث هذا العمل لأبنائه، ليعكس قيم الكد والجد.

ثم جاء أبي، يحمل نظرة جديدة تتطلع إلى الأمام، معارضًا أفكار جدي الثابتة، وفي رؤيته كان التجديد سبيلا ً للثراء، وكانت المدينة تمثل له أفقًا بلا حدود.

ترك القرية وراءه، غارقًا في أحلام الفرص اللامتناهية، ونجح في تحقيق ما لم يكن جدي يتخيله.

لكن هذا النجاح جاء مع ثمن، فبينما استطاع أبي أن يحقق إنجازات مادية، كانت جذوره تنفصل عن تلك الأرض التي أسس عليها جدي أحلامه، وفي هذا التوتر بين الأ جيال، يتجلى السؤال الأعمق، هل يمكن للنجاح المادي أن يعوض عن الفقدان الروحي؟! وهل نحتاج حقًا إلى أن نفقد أنفسنا في سعي مستمر نحو الجديد، أم أن العودة إلى الجذور هي ما يمنحنا المعنى الحقيقي للحياة؟!

إن رحلة الأجيال تجسد صراعًا بين الثبات والتجديد، بين الحنين للماضي والطموح للمستقبل، وما بين تلك الفلسفات المختلفة، تكمن حقيقة الحياة: أن كل تجربة، مهما كانت مؤلمة، هي جزء من إرثٍ يتجاوز الأفراد، وينسج تاريخًا يتطلب منا أن نعيد التفكير في معاني النجاح والثراء.

عندما قررت البدء بمشروع في القرية، لم أواجه معارضة صريحة من أبي، لكن نظراته كانت تحمل الكثير من الشك، ولأنه يعرف كيف يمكن لأفكار الرفض أن تخنق الشغف، لم يقف أمام عملي، وكان داعما كبيرا لي.

في هذه الأثناء جهزت مصانع متعددة، بما في ذلك مصنع للعصائر الطبيعية والمنتجات الغذائية، وحرصت على استخدام أحدث المعدات، فنجحت في توفير فرص عمل لشباب القرية، وأسهمت في جلب منتجات نظيفة ولذيذة إلى المدينة، ولكن هل كانت نجاحاتي تعني أن أبي لم يكن قادراً على تحقيق ذلك في القرية، وخاصة لو توفر المال الذي عندي لديه؟! ... وهل كان جدي سيفشل في زمن تتوفر فيه الفرص؟! في الحقيقة نحن جميعاً نتاج أفكارنا وتجاربنا، وتختلف الظروف بين الأجيال، مما ينعكس على رؤيتنا للحياة.

ما توصلت إليه هو أن الأفكار تتجدد، وأننا نعيش في عالم متغير باستمرار، وإن الزوايا التي ننظر منها إلى الحياة تتشكل بناءً على تجاربنا؛ لذا أؤمن بأن الحل يكمن في التعلم

من الماضي مع الانفتاح على الجديد.

وأخيرا النجاح هو مفهوم يتجاوز مجرد تحقيق الأهداف المرسومة، فهو تجسيد لتجاربنا ونموّنا الشخصي في سياق الحياة، إن التكيف مع التحديات والقدرة على الا بتكار يعكسان عمق فهمنا لذاتنا وللعالم من حولنا، في هذا الإطار تصبح الرحلة ذاتها أداة للتطور، حيث تُساهم كل خطوة نخطوها في تشكيل هويتنا وقيمتنا.

النافذة الرابعة

وقف قصي أمام اتساع الصحراء الكبرى، غارقًا في تأمل التعرجات، والرمال الذهبية التي تتراقص تحت أشعة الشمس، وفي عمق تلك اللحظة، حيث تلاقت الألوان مع خيوط الزمن، تساءل بصوت هادئ:

- إذا اعتبرنا أن هذه الصحراء تمثل تجربة الحياة بكل تعقيداتها، فإن السؤال الذي يفرض نفسه هو: كيف يمكننا مواجهة الأعاصير، والتغيرات المتلاحقة التي تعصف بنا، وهي تجسد تحديات الوجود وتغيرات الزمن؟!

تردد آدم لحظة، وكأن الأفكار تتزاحم في ذهنه، ثم اختار أن يجيب أخاه بقصة تحمل في طياتها حكمة الزمن وتجارب الحياة.

"كان هناك أربعة جيران في صحراء قاحلة، وكل جار منهم يمثل قيمة معينة في الحياة ، كان خليل يمثل الخبرة فقط، وجلال يجمع بين العلم والخبرة، وعلي يتمثل في العلم وحده، وجواد يجسد الجهل.

كان كل من خليل وجلال يذهبان دائما إلى المدينة، وكان جلال بفضل معرفته الواسعة، وتجربته العميقة هو الأسرع في الوصول، فهو يعرف كيف يتعامل مع التحديات التي قد تواجهه في الصحراء؛ إذ كان يملك أدوات العلم والخبرة، مما يمكنه من الوصول بأمان. أما خليل بخبرته فقد كان متشبثًا بالطريق التي اعتاد عليها، رافضًا تغييرها،

معتقدًا أنها الوحيدة التي ستوصله إلى بر الأمان.

وعلي كان لديه معلومات كافية عن الصحراء، ولكنه لم يجرب الخروج منها قط، وظل عالقًا في نظرياته، في حين أن جواد الذي لم يكن لديه علم أو خبرة، لم يفكر قط الخروج من الصحراء؛ لأنه يعتقد أنه في أمان دائم.

في يوم من الأيام هبت عاصفة قوية، فقرّر الأربعة الرحيل، جلال الذي يمثّل الحكمة، و التوازن بين العلم والخبرة، نجح في الوصول إلى المدينة بسلام، ودون أذى، أما خليل فقد واجه بعض العقبات، إذ أن الطريق التي تعود عليها قد تغيّرت بفعل العاصفة، لكنه استطاع تذكر بعض التفاصيل، وانتهى به المطاف بالخروج.

لكن علي الذي اعتمد على معلوماته فقط، عانى بشدة، فقد تأخر في الصحراء، وكان أحيانا ينتظر الليل للاستدلال بالنجوم، فأدرك أن المعرفة وحدها لا تكفي في مواجهة المواقف الحياتية الصعبة، بينما جواد الذي كان في حيرة من أمره، فقد الأمل في الوصول، وضاع في الصحراء لجهله."

****

استوعب قصي مغزى القصة بعمق، فامتلأ قلبه بالامتنان لأخيه على تلك الحكمة التي أنارت له الطريق. وبتأملٍ في تلك الدروس القيمة، قرر أن ينقل هذه القصة إلى أصدقائه، عازمًا على أن يشاركهم التجربة التي قد تعينهم في مواجهة تحديات الحياة.

النافذة الخامسة

كان اليوم بالنسبة لي مليئًا بالتعقيد والتحدي، حيث كنت أفكر كثيرًا في كيفية انتهاء هذه المحاضرة الثقافية، وكانت مهمة تتطلب مني التحدث أمام جمهور متنوع من مختلف الأجناس والأعمار، ومع مستويات عقلية وفكرية متباينة.

الهدف من هذه المحاضرة كان تقديم فائدة تذكر، إلا أن المواضيع كانت عشوائية، تتداخل فيها الأفكار كما تتداخل الألوان في لوحة فنية، فعندما جلست أمام الجميع، ورغم توتري الذي كان يعتصرني، استطعت أن أمسك بزمام نفسي.

ولكن، وللحق، شعرت برعشة عميقة عندما بدأوا يمطرونني بالأسئلة، وكأنها ضربات صاعقة تهز أركان تفكيري، لم تكن الأسئلة معقدة فحسب، بل كانت تتطلب الكثير من التأني والتفكير العميق للإجابة عليها.كانت الأسئلة تتوالى، وتحمل في طياتها أبعادًا فلسفية عميقة:

- كيف يمكن للمرء أن يبحث عن الأمان والحرية في أوج الصراعات والاختلافات؟

-ما الذي يفعله الفرد الواعي والمتميز في مجتمع يعاني من التفكير الجمعي؟

- برأيك، هل يمكن للمرء أن يجد الأمل في ظلام اليأس؟

- ما الذي يتطلب من المرء فعله لكي يوازن بين الفردية والمجتمعية؟

- هل الأمان نسبي؟

تساؤلات تلامس أعماق الروح، وتدعوني للتأمل في معانيها. كنت سأحاول الإجابة عن كل سؤال بالنقاط، لكن فجأة، انتشلتني من دوامة الأفكار تلك القصة الرائعة التي كتبتها أختي الكبرى.

كانت قصة تنبض بالحياة، تحمل في طياتها إجابات تلك الأسئلة المُلهمة.

عنوان القصة: البحث عن الحرية.

* الخروف الجد*

جلس الخروف العجوز مع حفيده، تحت ظلال الأشجار الوارفة، حيث تمتزج ألوان الطبيعة في لوحاتٍ حية، وكانت الرياح تلاعب أغصان الأشجار بلطف، كما لو كانت تعزف ألحان الحياة، وتحمل معها همسات قديمة، تذكر بالسلام والوئام الذي يمكن أن يسود بين الكائنات.

نظر العجوز إلى السماء المتقلبة، حيث تجمعت الغيوم كأنها أفكار مثقلة، تعكس ما يدور في أعماق نفسه، ثم استدار نحو جواد الذي كانت ملامح وجهه تعكس حيرةً عميقة، وحزنًا مكبوتًا، كان قلبه مثقلًا بأعباء الذكريات، وكأنه يحاول التقاط شظايا الزمن الذي لم يكن رحيمًا.

بصوتٍ هادئ ومملوء بالعاطفة، بدأ العجوز حديثه قائلا:

- دائمًا ما تساءلت، لماذا تغادر الطيور أعشاشها الآمنة؟! ... هل هي رغبة في الحرية... أم سعيًا خلف طعام أو دفء؟ لقد عشت في مكان يوفر كل ما تحتاجه، ومع ذلك تترك الطيور أعشاشها هناك، ولكن أدركت الآن أن الأمان نسبي، فما يُعد آمنًا لي قد لا يُعتبر كذلك للآخرين.

توقف لحظة كما لو كانت الكلمات تختنق في صدره، ثم نظر إلى السماء المُظلمة مرة أخرى وقال:

- أنا أيضًا، قد غادرت....خرجت مرغماً من مكاني، ولم أكن أعلم أن القيم التي عشت من أجلها ستتحول إلى أوراق تتساقط وتداس بأقدام مجتمع يعبد النفاق. زعموا أنهم يرحبون بالاختلاف، لكن حين تجرأت على قول الحقيقة، أصبحت غريبًا في وطني.

"أحيانًا، تكون الحقيقة طعنة لمن اعتادوا النوم في أحضان الوهم."

تلك الأوهام كأستار مريحة، تمنحهم شعورًا زائفًا بالسيطرة، كأنهم أسياد في عالم يختبئون فيه عن عيوبهم.

أخذ نفسًا عميقًا، وكأنه يجمع كل ما تبقى من روح، ثم واصل حديثه:

- يا بني، الحياة ليست مجرد رحلة، بل هي تأمل عميق في جوهر الوجود، وإن القبول الذاتي هو أولى خطوات الفهم، وتذكر أن مقارنة نفسك بالآخرين ليست سوى سراب يُلهيك عن عمق وجودك، وكل يوم هو فرصة للتجدد، لكن اعترافك بحقوق الآخرين هو تجسيد للوعي والتواصل الإنساني، ولا تدع التعصب يقيدك؛ إنه جدار يحجب الأفق

ويمنع انفتاح العقول على تجارب جديدة.

تأمل "جواد" كلمات جده، مستشعرًا عبق التجارب التي مر بها، كانت حكمة الجد كمرآة تعكس أعماق الحياة وجراحها، وكأنها نوافذ إلى عوالم موازية تضيء زوايا روحه، تلك الدروس لم تكن مجرد كلمات، بل كانت شغف الحياة وتجسيدًا للبحث عن المعنى في ع الم معقد.

تابع العجوز، وكأنه يسرد أسطورة خالدة:

- إن تأثير الجماعة على الفكر يجذب الفرد إلى ظلمات النسيان، فإن كنت تحمل رأيًا يعبر عن حقيقة مُرّة فكن حذرًا؛ لأن التمسك برأيك يتطلب شجاعة منقطعة النظير، لكن شجاعتك يجب أن تكون مدروسة؛ لأنك لو كنت في عالم يختنق فيه الصوت الحر، قد تكون المخاطر كبيرة، والحكمة تكمن في الاختيار والموازنة بين الحقيقة والواقع.

أحس جواد بعمق الكلمات التي سمعها، فقال بصوت مملوء بالتحدي:

- أعدك يا جدي، أن أكون أذنيك الصاغية، سأحمل كلماتك ككنز ثمين، وسأعمل بها لأ حقق ما حلمت به.

قال الجد:

- في زمن تتصارع فيه الأضواء والظلال، تذكر أن الحكمة ليست مجرد كلمات، بل هي روح تعيش في القلوب التي تبحث عن النور، ابحث دائمًا عن الحقيقة في أعماق ذاتك، فهناك ستجد السعادة الحقيقية.

بينما يدور الزمن حولهم ببطء كعجلة الحياة في تداخل بين الفهم والحيرة، وبين الماضي والمستقبل، حيث تتقاطع الأفكار وتتداخل الأسئلة، نهض العجوز الحكيم، مشعًا بعزيمة كالشمس المشرقة رغم الغيوم، فقال لحفيده بحزم:

- لم ننتهي بعد، ولكننا سنواصل المسير، لعلنا نجد قطيعًا آخر ننتمي إليه.

ابتسم الحفيد برفق، ولكن حزنًا عميقًا كان يتجلى في عينيه، حزن على جده الذي تخلى عن إرثه، وأحبابه بسبب نقده الصريح لمجتمع ثار عليه بعد قصته الأخيرة، كانت القصة تتناول فخ التفكير الجماعي وما يؤدي إليه، وضرورة التفكير الفردي، لكن الجهلة الذين كانوا يترصدون جده حولوا حكايته إلى تمجيد للذئب، فاندلعت ثائرة المجتمع الذي لم يعتد البحث عن الحقيقة، وكانت النتيجة فقدان الوطن والأصدقاء، وكان هذا الفقد كخنجر مغروس في قلب الجد.

تعمقت في قلبه مشاعر الشفقة على جده، الذي اختار النضال رغم العزلة، وجاءت ذكريات الأيام الخوالي تطوف حول عقله، تلك اللحظات التي كانوا يتشاركون فيها الضحكات والأحلام، بينما كانت الألوان تنبض بالحياة من حولهم، فقال "جواد" بصوتٍ خافت، كأنه يخشى أن تسقط كلماته كأوراق الخريف:

- ولكن... هل نمتلك القوة لنبدأ من جديد، يا جدي؟!

- لا تنسَ يا بني، أن لكل نهاية بداية جديدة، فحتى في أوج الظلام يمكن أن يزهر الأ مل، علينا أن نبحث عن النور معًا، وأن نزرع بذور الفهم في قلوب الآخرين.

مشى الخروف العجوز منطلقا إلى ابنه وزوجته، فشعر جواد بقلق داخلي كما لو كانت همسات الرياح تحثه على الاستماع إلى قلبه، وعند وصولهم، التفت الجد إلى ابنه، وقال بحزم رغم علامات التعب التي كانت تتجلى على ملامح وجهه:

- علينا أن نواصل المسير، هذا المكان لم يعد لنا، يجب أن نبحث عن قطيع جديد، عن بيت يُقدّر فيه العقل والحكمة.

لكن الابن الذي كان يراقب ضعف والده بعينيه المليئتين بالقلق، رد بصوت متردد:

- أبي أنت لست في حالة تسمح لك بالسير، دعنا نرتاح قليلا.

هبت ريح خفيفة، تداعب العشب تحت أقدامهم كهمسات الأرض التي تروي قصص الحياة، كانت تلك اللحظات كأنها تتلاشى في الهواء، تحمل عبق الذكريات وعبء الأمل.

قال الجد متمسكًا برأيه مُصِرًا، وبنبرة تتناغم بين الألم والعزيمة:

- ليس لدي الكثير من الوقت، علينا التحرك.

صمت الهواء، وكأن الطبيعة نفسها كانت تستمع إلى كلمات الجد.

فقال الجد بعد أن نظر إلى حفيده، الذي كان يقف مترددًا:

- لقد تركت إرثي هنا، ولن أخاف من الموت.

ابنه الذي كان يحمل عينا عميقتين، نظر إلى الأرض، ثم إلى أبيه، بقلق يكاد يحطمه، وكانت عواطفه متضاربة، كأن قلبه يتأرجح بين الفهم والخوف، وبين الخسارة والا متثال، ولكن في عمق قلبه، أدرك أنه لا مفر من هذه الرحلة، واستسلم لإرادة والده.

بدأت الأسرة في المسير، كانت خطواتهم تمزج بين خفقان قلوبهم ونسيم الريح، وكأنهم يخرجون من ظلال الماضي إلى المستقبل المجهول، وكان الطريق أمامهم مفتوحًا، لكنه كان ضبابيًا، يشوبه الغموض.

كانوا يسيرون في صمت، حيث كل واحد منهم يحمل ثقل أفكاره، وكأن الأرض تحتهم تتحدث بلغة لا يفهمها سواهم.

قال الجد فجأة، بصوت عميق كأصوات الأجداد:

- الحياة ليست سوى رحلة، وكل لحظة فيها تحمل درسًا، لا تهابوا الألم، بل اعتبروه دليلكم.

كانت تلك الكلمات تتردد في آذانهم وكأنها تضيء الطريق الضبابي.

تبادل جواد نظرة مع أبيه، كان هناك شعور مشترك، فهم أن إرث الجد لم يكن مجرد أشياء مادية، بل كان عن القيم التي ستستمر معهم، حتى بعد رحيله، وكأن الجذور العميقة التي ربطتهم بالأرض كانت تمنحهم القوة في مواجهة كل ما هو آتٍ.

استمروا في السير، وكلما خطوا خطوة، كان الغموض يخف قليلا ً، وكأنهم يقتربون من نور جديد في نهاية النفق، وكأن الرياح تحكي لهم قصص الفرح والحزن، والعشب يذكرهم بأهمية التمسك بالأمل.

ومع مرور الساعات، بدأت الشمس تغرب، وتغمر الأفق بألوان دافئة تتلاشى ببطء، وكأنها تسحب معها كل ما هو حي إلى ظلام الليل، ولما كان الظلام يتسلل بخفة، ويحاكي أنفاس الحياة التي تتلاشى، شعر الجد بأنه يضعف أكثر، وصارت أنفاسه ثقيلة كأصداء السنوات التي تحملها، وعيونه كانت تخبر قصة عمر طويل مليء بالذكريات وا لألم، فتوقف فجأة، وكأنه كان يحمل ثقل العالم على كاهله، ثم سقط برفق على الأرض، كما لو أن الأرض نفسها فتحت ذراعيها لاحتضانه.

في تلك اللحظة عندما سقط الجد، شعر جواد وكأن قلبه توقف، وصرخ بكل ما أوتي من قوة:

- جدي!

ركض نحوه، وعينيه مليئتين بالدموع، كما لو أن كل لحظة عاشها معه كانت تتلاشى في غمضة عين.

لكن الجد كان قد استسلم لرحلته الأخيرة، تاركًا حفيده، وابنه في دوامة من الفزع و الذهول.

نظر الجد إلى جواد بعينيه اللتين تتلألآن بالحكمة والحب، وكأن كل تجربة عاشها تجسدت في تلك النظرة، وقال بصوت ضعيف يتخلله شوق وحنان:

- لقد كان الطريق صعبًا، ولكنك ستكمله، كن حكيمًا، كن شجاعًا، وتذكر أن الفكرة التي تسكن قلبك هي ما يجعلك قويًا.

أغمض الجد عينيه للمرة الأخيرة، تاركًا خلفه عالمًا مليئًا بالذكريات والنصائح التي لن تُنسى، كانت اللحظة تعبر الزمن، وكأن الكون نفسه تجمد ليشهد وداعًا هادئًا.

شعر الحفيد بالحزن واليأس يغمر قلبه، وكأن سحابة قاتمة قد غطت على كل شيء، لم يستطع الحراك، وكان يريد البقاء مع جده، مع آخر ذكرياته، ومع الحكمة التي نُقشت في روحه.

الأب رغم حزنه العميق نظر إلى ابنه، ووجهه يحمل تعبيرًا مزيجًا من الحزن والعزم، ثم قال بصوت هادئ كنسيم المساء:

- لا يمكننا البقاء هنا يا جواد، الموت يلحق بالجميع، لكن الحياة لا تنتظر...كان جدك بطلًا، وهو أرادك أن تكون بطلًا أيضًا، لن تحقق ذلك إذا بقيت هنا.

كانت كلمات والده تشق طريقها إلى قلبه كحد السكين، تاركة أثرًا عميقًا، وأدرك أن جده لم يرد له أن يعيش أسيرًا للحزن والكآبة، بل أراد له أن يكون قويًا، قادرًا على مواجهة العالم بما فيه من تحديات، وأن يُكمل المسير رغم الصعاب.

ببطء نهض "جواد" وقبل رأس جده للمرة الأخيرة، وكأنما يلتقط كل الذكريات التي تحملها تلك اللمسة، كانت الدموع تسيل كجدول محاط بالأشواك، ثم أدار ظهره وأكمل المسير، كانت خطواته ثقيلة، ولكن كل خطوة كانت تمثل تحديًا للمجهول، وعزيمة للعيش وفقًا لتلك النصائح التي تركها له جده، وفي كل خطوة، كان يتعلم أن الحياة، رغم قسوتها تحمل أيضًا جمالًا في الذكريات، وأن كل نهاية هي بداية جديدة.

وشعرت العائلة معًا بأن الجد لا يزال يعيش فيهم، من خلال الدروس التي تركها، والتي ستظل تضيء دروبهم حتى في أحلك الأوقات، وبذلك ومع خطواتهم في طريق غير معروف، كانوا يحملون معهم إرثًا خالدًا من الحكمة، يذكرهم بأن الحياة، بكل تحدياتها، هي رحلة مستمرة.

قصة الجد التي طُرِدَ بسببها:

في غابة نائية، عاشت خراف تجسد فكرة الخضوع للمعايير الجماعية. كانت هذه الخراف تعتقد أن الانصياع للقوانين السائدة هو السبيل للحفاظ على الوحدة، وكان التفكير الفردي يُعتبر تهديدًا وجوديًا. تحت ضغط هذه العقلية، كانت كل خروف تُخنق رغبتها في الاستكشاف والتعبير، وتتحول أفكارها إلى صدى يتلاشى في فضاء متجانس.

في الجانب الآخر من الغابة، كانت الذئاب تعيش في عزلتها، موحدة في قوتها، لكنها مكرسة لفلسفة فردية عميقة. كل ذئب كان يمارس حقه في التفكير الحر، مؤمنًا بأن تجارب الذات تنسج مصيرها، وأن لكل ذئب سرده الخاص. هنا، كانت الفردية تُعزز من التجربة الجماعية، لكن عواقب الحرية كانت أيضًا مرعبة، إذ كان كل قرار يحمل ثقل المسؤولية الفردية.

وفي يوم من الأيام، قررا الخروف والذئب تغيير حياتهما وتجربة العيش في القطيع الآ خر، فقامت الخروف بتبديل ثوبها بثوب الذئب، وانطلقا كل منهما في الطريق الجديدة.

في البداية انغمرت الخروف في شعور الحرية الذي كان يبدو مُغريًا، لكنها سرعان ما أدركت أن أفكارها كانت ساذجة أمام عمق تفكير الذئاب. في عالمهم، كانت الحكمة تتجلى في التعقيد، بينما كانت أفكارها تفتقر إلى العمق، مما جعلها تشعر بالعزلة في وسط مجتمع حر.

في الوقت نفسه، كان هناك ذئب يراقب هذه الخراف، متلهفًا للانتماء، لكنه كان يشعر بـ الثقل الذي تفرضه القرارات. ولى ظهره لطبيعة الذئب الفردية، مفضلًا الدفء الذي يوفره القطيع، لكنه سرعان ما اكتشف أن الحياة في قطيع من الخراف كانت تعني الا نغماس في ضبابية التفكير الجماعي، حيث تتبدد القيم الفردية تحت وطأة الإذعان.

حين قاد قائد الخراف القطيع نحو وادٍ عميق، متجاهلًا تحذيرات الذئب، كان ذلك لحظة فاصلة. تجسد فيها الصراع بين الفهم الفردي والإذعان الجمعي. حينما انحدرت أول خروف نحو مصيرها، أدرك القطيع فداحة خطأه، لكن كان الأوان قد فات. هذه اللحظة كشفت عن أهمية الوعي الجماعي المبني على الوعي الفردي، وضرورة استماع الجماعة لأصوات الأفراد.

عادت الخروف إلى قطيعها، مُدركةً أن الاستقلالية لا تعني العزلة، بل هي ركيزة للتطور. كما تعلمت أن التفكير النقدي يمكن أن يكون دعامة للتكامل الجماعي. وفي عودة الذئب إلى عالم الذئاب، استشعر حرية لا تقارن، لكنه كان قد عايش تجارب أثرت في فهمه لذاته.

في نهاية المطاف، تعلم الطرفان درسًا عميقًا: الفردية والتفكير الجماعي ليسا متناقضين، بل يمكن أن يكونا شريكين في تعزيز وجودٍ أكثر عمقًا وتعقيدًا، فالحياة ليست مجرد خيار بين الانتماء والحرية، بل هي رحلة مستمرة من الاكتشاف، حيث تندمج الأصوات الفردية لتشكل سيمفونية جديدة من الحكمة الجماعية.

* الخروف جواد- الحفيد*

بدأت ظلال الغابة الكثيفة تتراقص أمامهم، وكأنها تجسد وجودًا غامضًا يترصد كل خطوة يخطونها. وكان ضوء القمر يتسلل بحذر من بين الأوراق، وكأن الأشجار تنفث ظ لامًا يتغلغل في النفوس، ليشكل شبكة من الشك والتساؤل، وتتشابك فيها الخيوط الرقيقة بين الواقع والخيال.

توقف الأب في مكانه، متجمدًا كتمثال من الحجر، وعيناه تراقبان الغابة بقلق، كما لو كانت أسرارها قد تجمعت في ظلال الأشجار. شعر بالبرودة في جلده، ليس بسبب الليل ، بل بسبب ما قد يختبئ خلف تلك الكتلة السوداء من المجهول، فهمس بنبرة مترددة:

- لن أجرؤ على عبور هذه الغابة، فالظلام فيها ليس مجرد ظلمة الليل...

التفت الأب بعيدًا، عازمًا على السير في اتجاه آخر، حيث بدا أن ضوء الأمل لا يزال يتلألأ، وكانت خطواته ثقيلة كحجارة، تتردد صداها في صمت الغابة المهيب، بينما تلاشت خيوط الضوء خلفه، بقي جواد متأملًا في تلك الكتلة السوداء، متسائلا ً عن الأسرار التي قد تحتضنها، وعن الحياة التي قد تزدهر في زواياها المظلمة.

في تلك اللحظة، ارتسمت في ذهن جواد فكرة عميقة:

- هل يمكن أن تكون هذه الغابة هي رمز لكل ما نخشاه؟! هل كل ظلام يحمل في طياته ضوءًا، وكل غموض يحمل سرًا يستحق الاستكشاف؟!

على بُعد مسافة قصيرة، وجدوا قطيعًا جديدًا، واستقبلهم أفراد القطيع بترحاب، فامتلأ الجو بالضحكات والتعبيرات الودية، وأحس الجميع بالراحة والفرحة؛ لأنهم وجدوا مكانًا جديدًا ينتمون إليه.

ومع ذلك، ورغم الفرح الذي غمر الآخرين، ظل قلب جواد مرتبطًا بجده، وبالمسار الذي تركه خلفه، كظل يتبع ضوءًا خافتًا. كان يعلم أن هناك جزءًا من الرحلة لم يكتمل بعد، وأن الحكمة التي تعلمها من جده لن تموت بموته، بل ستبقى نبراسًا يضيء له الطريق في كل منعطف يمر به.

استقبلهم أحد الخراف، بصوت مرح يشبه نغمة الأمل:

- أهلا ً بكم بيننا! هنا ستجدون الأمان، لا خوف بعد اليوم، فالمراعي آمنة، والذئاب لا تجرؤ على الاقتراب.

شعر جواد ووالداه بالارتياح، وكأن أحلامهم قد تحققت أخيرًا.

كانوا متعبين من الترحال والهرب المستمر، وحين رأوا الابتسامات الودودة والترحيب الحار، أدركوا أنهم قد وصلوا إلى مكان قد يكون ملاذهم الحقيقي.

ولكن بقت الأسئلة تدور في ذهن جواد:

- يا ترى ما الذي قد تحمله تلك الغابة المظلمة في طياتها؟!

وللحق، لا أعلم لماذا يجذبني سحر المجهول للاكتشاف! هل لأنه يمثل احتمالات غير محدودة، كنافذة تفتح على عوالم جديدة لم نختبرها بعد، أم لأنه يحثنا على الغوص في أعماق أنفسنا والعالم من حولنا؛ ليمنحنا فرصة للنمو والتغيير، أو ربما لأنه يثير فينا شعورًا بالحرية، وكأننا نستطيع الانطلاق في رحلات لا حدود لها، متجاوزين القيود التي تفرضها علينا الحياة!

******** ********

وبعد أن مرت عدة أيام، شعر والد جواد بالمعاناة من جراحه القديمة التي تسببت بها الذئاب، ومع الوقت، بدأت تلك الجراح تتفاقم، تاركة أثرها على جسده، كندبات في ذاكرة الزمن، تروي قصص الألم والصمود، فبدأ ضعفه يتسرب إلى خطواته، حتى بات من الصعب عليه السير.

وفي لحظةٍ من الحزن العميق، جلس الأب إلى جانب ابنه تحت ظلال شجرة قديمة، تنبض بالحياة رغم شحوب أوراقها، كان يلهث بصعوبة، وكأن كل نفس يحمل عبء سنوات من القلق والخيبة، ونظر إلى عيني ابنه، وظهر فيها مزيج من القلق والحب، ثم همس بصوت خافت مليء بالتعب:

- كنتُ أريد لك الأفضل، يا بني. أردت أن أضمن لك حياةً خالية من الخوف والموت، ولكن يبدو أنني لن أكون قادرًا على حمايتك لفترة أطول، وأتمنى أن تبقى دائمًا حكيمًا، وألا تتخلى عن نفسك.

اجتاحت عواصف من الذكريات ذهن الوالد، وظهرت صورٌ للجد، وهو يسرد قصص المغامرات في أجواء دافئة، تداخلت فيها ضحكات الرفاق مع همسات الرياح.

كانت تلك اللحظات كالأحلام التي تتسلل إلى القلب، تدفئه رغم البرودة القاسية للواقع، فابتسم الأب بهدوء، ثم أغمض عينيه، كمن يستعد لرحلة إلى عالم آخر، عالم بعيد عن ا لآلام والمخاوف، حيث تشرق شمس الحرية بلا قيود، وفارق الحياة.

كان موته بمثابة ضربة قاسية لجواد، الذي شعر بالوحدة تلتف حوله كستارٍ مظلم، تخنق أنفاسه وتطغى على أحلامه، وكلما نظر إلى المكان الذي كان يجلس فيه والده، كانت ذكرياته تتداعى كأمواجٍ تتلاطم بصخور الساحل، محملةً بأصوات الضحكات و التوجيهات التي كانت تملأ الفضاء.

غمر جود شعور عميق بالفراغ بعد رحيل والده، وكأن قطعة من روحه قد انفصلت عنه، تاركة فراغًا يصعب ملؤه.

وفي لحظة الحزن تلك تذكر شيئا هاما، تذكر سابقا كيف بدأت الأمور تتغير في حياتهم، حين اكتشفوا أن القطيع يعيشون في مخبأ سريا بين الأشجار، محاطا بناباتات ذات رائحة نفاذة تهدف إلى إخفاء رائحة الخراف عن الذئاب، وليس هكذا فحسب بل يأكلون في الصباح الباكر سريعا، ثم مرة أخرى في المساء، لكن بكميات أقل، ولم يكن ذلك بسبب نقص الطعام، فالمراعي كانت مليئة بالعشب الأخضر، بل كان هناك سببٌ آخر، غامض كظلٍ يتربص في الليل.

سأل جواد والده ذات يوم وهما يأكلان معًا:

- لماذا نأكل بهذه الطريقة؟ لماذا لا نأكل كما نشاء مثلما كنا نفعل قبل مجيئنا إلى هنا؟

أجاب الأب بتنهيدة ثقيلة، محاولًا أن يُضفي طابع الاطمئنان على صوته:

- إنها قواعد القطيع هنا. يا بني، يقولون إن الذئاب قد تهجم علينا بتتبع رائحتنا إذا أكلنا ببطء، الأمر يتعلق بالأمان.

لم يقتنع جواد تمامًا، كان يرى أن القطيع يعيش في سجنٍ غير مرئي، حيث تُفرض

عليهم قيود باسم الأمان، لم تكن الحياة هنا هي الحرية التي كان يتوق إليها، فانتابه شعور بالصدمة والرفض، فقال محدثا نفسه:

- كيف يمكنهم العيش بهذا الشكل في خوفٍ دائم؟! مختبئين في أماكن مظلمة، بدلا ً من مواجهة العالم بجرأة؟

ثم قال بغضب لوالده:

- أبي، لا يمكننا البقاء هنا! هذا ليس أمانًا، هذا سجن! كيف نختبئ طوال الوقت؟! كيف نعيش في خوف من الذئاب؟!

نظر الأب إلى ابنه بعينين تملؤهما التعب والقلق، ثم قال بصوتٍ خافت، كهمسة مكسورة:

إنه المجهول، يا بني. الخوف من المجهول هو ما يدفعنا للبقاء، ربما لا يكون هذا الوضع مثاليًا، لكننا نحافظ على حياتنا. أما المجهول... فقد يحمل لنا ما هو أسوأ.

ولكن بينه وبين نفسه كان يعلم أن الحماية التي تمسك بها والده لم تكن سوى وهمٍ خادع، وأنه كان بحاجة إلى التحرر من قيود هذا الخوف.

أحس جواد بدعوة خفية تأخذه نحو المجهول، حيث تنتظره مغامرات جديدة، ورحلة لاكتشاف الذات، فتجمعت فيه قوى جديدة، دفعة من الأمل التي تضيء دربًا مظلمًا، وقرر أن يتبع صوت قلبه، وأن يواجه العالم بشجاعة، مستلهمًا من دروس الماضي، وإن الحياة ليست مجرد نجاة، بل هي رحلة مليئة بالتحديات والاكتشافات، وهي تستحق أن تُعاش بحرية.

****

في يومٍ بعيد، كانت الأرض تنبض برائحة الأعشاب الرطبة، ورذاذ المطر ينزل بلطف

على المساحات الندية، وكانت الشمس تميل نحو المغيب، لتصبغ الأفق بلونٍ برتقالي عميق، وكانت الظلال تتسلل ببطء لتغلف أرض المراعي الشاسعة.

وفوق تل صغير، وقف القائد الجديد للقطيع مرفوع الرأس أمام قطيعه، وصرخ بحماس متزايد، متفاخرًا بكثرة العدد:

- إننا أكثر عدداً، وسننتصر، وستكون المراعي الخضراء لنا وحدنا! لن نترك ذئبًا واحدًا يقف في طريقنا.

تجاوبت الخراف تصدر أصواتًا عالية، وكأنها جوقة من الحماسة، لكن تلك الأصداء سرعان ما تلاشت في زوايا الغابة، كما يتلاشى صدى الصوت في الفضاء، وفي قلب هذا الحماس، كان جواد يقف في الخلف، عينيه العميقتين تراقبان المشهد بقلق واضح، وكأنما كان يشهد عاصفة تتجمع في الأفق.

تقدم ببطء وسط الجموع، وصوته كان هادئًا كنسيم المساء، ولكنه حمل ثقل الحكمة التي ورثها من جده قائلا:

- كيف لنا أن نغلب الذئاب، ونحن بلا سلاح ولا خطة؟! الذئاب ليست مجرد أنياب ومخالب، بل هي أيضًا دهاء، حتى وإن كنا ألفًا، سيبقى النصر لمن يملك العقل والحيلة.

عمت حالة من الصمت، والقلق بين الخراف، وكأن كلمات جواد قد اخترقت جدران الحماسة، ولكن القائد الذي شعر بتزعزع لسلطته، انفجر غاضبًا:

- أنت تُحبط عزيمتنا! لا مكان للجبناء بيننا، سننتصر ولن نصغي لأصوات الضعف!

لم يكن جواد يسعى لإحباط القطيع، بل كان يرى ما عجز عنه الآخرون؛ حربًا غير متكافئة، ومصيرًا مظلمًا يترقبهم. ورغم ذلك، تجاهل القطيع تحذيراته، متمسكًا بمعتقداتهم الموروثة بأن العدد وحده يكفي لتحقيق النصر.

بينما كانت الخراف تستعد لرحلة محفوفة بالمخاطر، وقفت الأم - تلك الكائن الحساس الذي فقد جزءًا من روحها منذ رحيل زوجها - أمام ابنها، كانت حزينة، وكأنّ قلبها قد غمرته سحب رمادية لا تفارق الأفق.

عندما قررت الانضمام إلى القطيع، كان قرارها مستندًا إلى مزيج من الشجاعة واليأس، وقبل أن تودع ابنها، اقتربت منه، وجعلت من كلماتها صدىً لنضالها الداخلي، ونظرت إلى عينيه، اللتين كانتا تفيض بالبراءة والقلق، وقالت بصوتٍ هادئ، ولكن متوتر:

- يا بني، ابحث عن ما تؤمن به، ولا تفرّط في نفسك مهما حدث. أنت تعلم أنني أحبك، وأريد لك حياة آمنة؛ لذلك عندما تحين الحرب اهرب بعيدا أرجوك، عش حياتك.

ثم احتضنته برفق، وكأنها تحاول أن تعطيه كل ما تبقى من قلبها، قبل أن تتركه وراءها في هذا العالم المتغير.

تتلألأت عينا جواد بالدموع، وبصوت يختلط فيه الحزن والأسى، قال:

- أمي، لا أستطيع أن أراك تخاطرين بحياتك في هذه الحرب، لقد فقدت الكثير، ولا أريد أن أفقدك أيضًا. المخاطر أكبر من أن نتجاهلها.

ترددت كلماته في الهواء، وحاول أن يهدئ من روعها:

- أنتِ من علمتني كيف أكون قويًا، وأنتِ تستحقين أن تعيشي حياة آمنة، سأكون هنا لأ حمي نفسي، ولكن يجب أن تظلي معي، أعدك... سأبحث عن ما أؤمن به، ولكن ليس على حساب حياتك.

احتضنها بحنان، متمنيًا أن يدرك قلبها رسالته.

ولكن للأسف لم تصغ أمه له، وفارقته، وجعلته يعدها بأن يهرب بعيدا حيث الآمان و الحرية.

شعر جواد بوجع فراقها كغصة في حلقه، وعيونه تراقبها تبتعد مع القطيع، وكأنها تبحر نحو مصيرٍ مجهول، كل خطوة تخطوها كانت كصدى لعذابه، فقد بكى كما لم يبك من قبل.

وحيدًا في معركة قد لا يفهم تفاصيلها، وبينما كان الحقل من حوله يتلون بألوان الحزن والأسى، كانت الخراف تشكل طابورًا من الأمل الخافت، إلا أن في قلبه، كان شبح الفراق يلوح كالنجوم الغائبة في سماء مظلمة.

وفي اليوم المشؤوم، كانت السماء ملبدة بالغيوم، والرياح تعصف بالمرعى كأنها تنبئ بكارثة. اندلعت الحرب بين الخراف والذئاب، ورغم كثرة الخراف، إلا أن عزمهم لم يكن كافيًا لمواجهة قسوة الأعداء، بأنيابها الحادة، ومخالبها التي تخترق اللحم دون تردد، كانت الذئاب تمزق الخراف بلا رحمة، والأرض التي كانت مزدانة بالخضرة تحولت إلى ساحة معركة دموية، حيث اختلطت الألوان بالدماء وصدى الصرخات.

سقطت الخراف واحدة تلو الأخرى، وفي كل لحظة، كان حجم الخسائر يتزايد، حتى اللحظات الأخيرة، كان جواد قد توقع الكارثة، لكن لم يكن بيده شيء يفعله.

في نهاية اليوم، لم يتبق سوى بضع خراف والتي لم تدخل الحرب: جواد مع اثنتين من رفيقيه، ونعجة كبيرة تُركت لترعى الصغار.

وقف جواد مع صديقيه عند المخبأ، وكانت الأنفاس تتردد في هواء مشبع بالقلق، فيما نظر إلى الأفق البعيد، حيث كانت السماء تحمل بقايا المعركة من غيوم داكنة، قال لهم بصوت هاديء حزين:

- علينا أن نذهب، لن تكون لنا حياة إذا تبعنا الآخرين دون تفكير، في هذا المكان سيكون خطر علينا، ولا يمكننا العيش في خوف دائم، يجب أن نتعلم كيف نواجه المجهول؛ لأن الحقيقة المرّة هي أن الأمان الحقيقي لا يأتي من الاختباء، بل من

مواجهة ما قد يأتينا بشجاعة.

اتفق جواد وصديقه جون على الهرب، إلا صديقهم حسان، والنعجة الكبيرة التي فضلت البقاء وعدم المخاطرة بالصغار.

وبدأ الخروف جواد يسير في درب جديد، محملا ً بأحلام قديمة وذكريات مؤلمة، عازمًا على تحدي الظلام، واستكشاف النور، باحثًا عن الحرية التي لطالما اعتقد أنها موجودة في عالمٍ أوسع من حدود المخبأ، وكل خطوة كانت كصدى لنداءٍ في داخله، يحثه على تجاوز مخاوفه، مدركًا أن كل ظل في الغابة قد يحمل فرصة جديدة، وأن الحرية لا تأتي إلا للذين يتجرؤون على البحث عنها.

وبعد ساعات من السير في المجهول، لاح في الأفق مشهد جديد، قطيع آخر يرعى في حقل أخضر، فرح جواد وصديقه، وظنا أنهما وجدا الأمان أخيرًا، ولكن مع اقترابهم وجدوا شيء مختلف؛ كان هناك كلبان قويان، وشابان من البشر يحميان القطيع.

ترددوا للحظة، لكن كان القطيع أمامهم يأكل من الأعشاب بسعادة وراحة، فقرروا الا ستمرار، وعدم التراجع.

لاحظ الشابان من البشر اقتراب خروفين، فاقتربا بحذر، متسائلين عن أصلها، كانت في نظرهم الخراف تبدو مرهقة، وكأنها تحمل على عاتقها قصصًا من معارك قديمة.

رغم الحذر الأولي الذي شعر به جواد اتجاه البشر، فبدأ يستشعر شيئًا من الراحة تدريجيًا، كفجر يضيء أفقًا مظلمًا، ولكن السؤال الذي كان يدور في رأسه ولم يفارقه:

- ما هو النظام الذي يحكم هذا القطيع؟! وكيف يمكن للبشر أن يكونوا مصدر الأمان بـ النسبة لهم؟!

كان هذا التساؤل شكل خوفا له من المجهول، لكنه قرر أن يأخذ وقتًا ليرى بنفسه ما يخبئه المستقبل.

و بعد البحث والسؤال، تأكد الشابان بعد مدة أن الخروفين ليسا ملكًا لأحد، فعقدا العزم على ضمها إلى قطيعهم، فحظى جود وصديقه بمعاملة جيدة، وفرحوا لذلك كثيرا.

****

في ليلة ما من الليالي الحالكة، جلس جواد وصديقه جون في سكون الطبيعة، محاطين بأصوات الرياح وأضواء النجوم المتلألئة. كان القطيع الجديد يرعى بالقرب منهم، والهدوء الذي يلف المكان كان كأنه يغلف أفكارهم، فكل واحد منهما كان غارقًا في عالم خاص به.

قال جون، وهو يحدق في النجوم وكأنما يبحث عن إجابة:

- ماذا لو كانت النجوم أيضًا في سجن مظلم؟ هل بإمكاننا تحريرها؟

رد جواد بعد تفكير عميق:

- صديقي، لا يمكننا تحرير النجوم، فوجودها مرتبط بهذا الظلام، وهي مشاعل تضيء طريقنا، لكنها في الوقت نفسه تذكرنا بأن لها دورًا في هذا السجن.

أجاب جون بحزن:

- يعني أن بعضهم محكوم عليه بالبقاء في سجونهم، حتى لو كانت تلك السجون تؤدي إلى طرق الآخرين؟... ماذا لو كان مكاننا الوحيد هو سجن الراعي، الذي يحمينا من الذئاب؟

نظر جواد إلى السياج، وبعد تفكير عميق، قال:

- منذ متى كانت الحرية تعني العيش خلف الأسوار؟! نحن هنا محبوسون، نتغذى على

ما يقدمه لنا الراعي، نتقاتل على الفتات. هل هذا هو معنى الحياة؟

رد جون بقلق:

- لكننا آمنون هنا، وهذه الأسوار تحمينا من الذئاب، أليس كذلك؟

ابتسم جواد بسخرية، وقال بحزم:

- أنت ترى فقط ما تود رؤيته. تلك الأسوار ليست سوى خدعة تجعلنا نشعر بالأمان، ولكن أمانك مؤقت، وعندما يحين الوقت، قد يتحول الراعي إلى ذئب.

تجاهل جون كلمات صديقه، لكنه بدا مشوشًا، لقد اعتاد على الحياة التي يعيشها، وكان السياج مصدر أمان له.

لكن جواد لم يتوقف، بل اقترب من باقي القطيع، وصرخ بحماس:

- يا أصدقائي، يجب أن نتحرر! هناك عالم أكبر ينتظرنا!

رد أحد الخراف قائلا:

- لكننا هنا معًا، وهذا يكفي، لن نكون بأمان في الخارج.

صاح جواد قائلًا:

- لكن هذا الأمان مؤقت! إنه سجن مقنع! لم تسألوا عن الحقائق خلف هذه الأسوار!

تحدثت الخروف سوار بشغف، وكان صوتها يحمل هموم كثيرة:

- أنا أيضًا أفكر فيما وراءها، وتساءلت عن المراعي الخضراء، وعن السماء الواسعة، لكنني خائفة، ماذا لو كان الخارج أسوأ؟

أجاب جواد، عازمًا على كسر قيود الخوف:

- الحياة تتطلب الشجاعة، نحن نعيش في خوف دائم من المجهول، لكن ألا يستحق الأ مر المغامرة؟!

تردد القطيع، وصمت ثقيل يسيطر على الأجواء، ومع مرور الوقت، شعر جواد بالإحباط، لكنه لم يفقد الأمل، وعندما جاء الليل، اجتمع مع سوار وجون، وأخذ القرار قائلا ً:

- علينا أن نخرج الليلة، إنها فرصتنا، لقد وجدت ثغرة في السياج.

قالت سوار، بنبرة تحمل عزمًا جديدًا:

- أنا معك، أريد أن أكتشف العالم، حتى وإن كان مخيفًا.

رد جون، على الرغم من تردده:

- ربما... لكن إن خرجنا، فلا مجال للعودة.

تنفس جواد بعمق، وكأنه يستعد لمواجهة قوى الطبيعة:

- بالضبط، لننظر للأمام، نحو ما يمكن أن نصبح عليه.

في جنح الليل، انطلقوا، تاركين خلفهم الأسوار. كانت خطواتهم تتردد في صمت الليل، وقلوبهم مفعمة بالأمل والخوف. عبروا إلى مساحة مفتوحة، حيث استقبلهم ضوء القمر، الذي كان ينير دربهم، وتوقفوا للحظات، وتأملوا ما خلفهم، لكن جواد شدد عليهم قائلا:

- لا تنظروا للوراء، الماضي هو ما نتخلى عنه.

بعد ساعات من السير، واجهوا الغابة المظلمة، وكانت الأشجار كثيفة، والأصوات غريبة. ترددت سوار قائلة بخوف:

- ماذا لو ضللنا الطريق؟

قال جواد بحزم:

- حسنًا، سنبيت أمام الغابة ثم نواصل في النهار.

ولما حل الصباح، اتجهوا ببطء نحو الغابة المظلمة -التي تركها جود فيما سبق- وقلوبهم تدق بسرعة، ومع كل خطوة، بدأ الضوء يظهر في الأفق، ضوء دافئ يبدد الظلام.

وعندما اقتربوا، انفتحت أمامهم مراعي خضراء تمتد بلا نهاية، فكانت رائحة الأعشاب طازجة، والألوان متنوعة، والقطيع يمرح بحرية، فوقفوا مذهولين.

قالت سوار بفرح واندهاش:

- لقد تحقق حلمي! لم أكن أعلم أن الحياة يمكن أن تكون بهذا الجمال.

ابتسم جواد، وهو يشعر بعمق الانتصار:

- هذه هي الحرية، لقد تركنا قيودنا، ووجدنا أنفسنا.

شعر جون بشيء من الطمأنينة، فقال بفرح:

- لا أصدق أننا فعلنا ذلك، ربما لم يكن المجهول بهذا السوء.

رد جواد بحماسة:

- المجهول يحمل في طياته إمكانيات لا حصر لها، فقط علينا أن نكون شجعان.

فقال جون بقلق:

- ولكن ماذا لو كانت هناك مخاطر أيضًا؟ ماذا لو كان هناك راعٍ آخر ينتظرنا؟

رد جواد بحماسة:

- حينها سأظل أناضل للبحث عن حريتي، وسأصنع عالمي، عالم يعمه الخير والأمان.

هيا لنسمح للأمل أن يقودنا، ولا ندع الخوف يسلبنا حقنا في الحياة.

احتضنوا بعضهم وكأنهم احتضنوا آمالهم الجديدة، وأدركوا أن الحياة ليست مجرد أمان مؤقت، بل هي رحلة من الاكتشاف والتجربة. كانوا أحرارًا أخيرًا، والآن فقط بدأت رحلتهم الحقيقية نحو الحياة.

بينما كانوا يخطون خطواتهم الأولى نحو المراعي، تأملوا في معاني الحرية، وكيف أنها ليست مجرد غياب الأسوار، بل هي القوة على اتخاذ القرارات، مواجهة المجهول بشجاعة، وتحقيق الذات في عالم يتسع للجميع.

وهنالك، تحت سماء تتلألأ بالنجوم، انطلقت أرواحهم نحو آفاق جديدة، تحمل في طياتها الأمل، والحلم، والحياة الحقيقية.

****

انتهت المحاضرة، ومعها أسدل الستار على حوارٍ ثري يتجاوز مجرد الإجابة عن الأسئلة ، فشعرت بفيض من الامتنان؛ إذ أدركت أن القصة التي قدمتها لم تكن مجرد سرد، بل كانت جسرًا للتواصل بين الأفكار والمشاعر. لم أتمكن من كتم إعجابي، فشكرت أختي بعمق على هذه التحفة الفنية التي أسهمت في جعل النقاش أكثر حيوية.

بعد الانتهاء، تجلت لحظات من الصمت التأملي بين الحضور، وكأن كل واحدٍ منهم غارق في أفكاره الخاصة. تلك اللحظات كانت أشبه بالدوائر المائية التي تنتشر في بركة ساكنة، حيث ألقت الأسئلة التي طرحناها أصداءً في عقولهم.

ناقشنا قضايا عميقة، مثل معنى الحقيقة وماهية الهوية في زمن التغيرات السريعة، وطرح أحدهم تساؤلا ً حول تأثير التكنولوجيا على الروح البشرية، مما أفضى إلى حوار فلسفي حول التوازن بين التقدم والإنسانية.

بدت الغرفة محاطة بأجواء من التفكير العميق، وكأننا كنا نبحر في محيط من الأفكار، كل واحدٍ منا يستكشف جزيرته الخاصة.

آمل أن تثمر هذه الأسئلة والنقاشات في عقول مستمعيها، وأن تبقى كأصداء تعيد تنشيط العقول، تجعلهم يعيدون النظر في مسلماتهم، ويدفعون أنفسهم نحو فهم أعمق لذواتهم وللعالم من حولهم.

النافذة السادسة

عنوان: الشمعة المنطفئة

"شمعة تنطفئ لتضيء طريق الآخرين." هذا هو شعار الشخص الطيب، الذي لا يرفض طلبًا لأحد.

أنا إنسانة أتعذب من طيبتي الزائدة، وكأنني أعيش في دوامة من العطاء بلا حدود. يبدو أن الآخرين يعتقدون أنني بابتسامتي وكرمي سأكون دائمًا هنا، وأن بإمكانهم أخذ ما يريدون دون أدنى اعتبار لمشاعري، وفي بعض الأحيان، يصل الأمر إلى استغلال طيبتي بشكل فاضح، كما لو أنني مجرد وسيلة لتحقيق أهدافهم.

قرار الانسحاب من نفسي القديمة جاء كضرورة روحية بعد معاناة قاسية مع مرضي، حيث شعرت بالوحدة في معركة خضتها دون مساعدة من أولئك الذين كافحت من أجلهم.

كان الألم يرافقني، وكلما تفكرت تلك اللحظات، أدركت أن المعاناة قد تكون مرآة تكشف حقيقة العلاقات، وعندما استعدت عافيتي، انبثقت في داخلي شعلة من الإرادة لمواجهة من استغلوا ضعفي، فاجتمعت معهم في ذلك المكان الذي كان يوحدنا، وفي

قلب تلك الجلسة المليئة بالضحك والمزاح، بدأت حكايتي التي تعكس صراعي الداخلي.

****

في قرية نائية، حيث يسكن الجمال الطبيعي في تناغم مع قسوة الحياة، كان هناك شاب قوي يُدعى حازم، ذو عضلات مفتولة وصحة تُشبه أسطورة. بينما كان يعيش في بيته بأمان وهدوء، كان البشر من حوله يُضمرون له الحسد، ويتداولون الأقاويل السامة: "كيف حصل على هذه الصحة؟! لا بد أنه مارس سحرًا أو تناول طعامًا محرمًا!"

في هذه القرية، كانت هناك خاصية غريبة تُتيح للناس منح جزء من صحتهم للآخرين، سواء كانوا مرضى أو لا.

كان حازم وحده يتمتع بصحة استثنائية، وبدلًا من الاستفادة من تلك الميزة، لم يتردد في منح صحته لابن عمه الذي عانى من الزكام، مُستجيبًا لطلبه الذي رُسم على شفتيه:

"لدي عمل مهم، أحتاج إلى القليل من صحتك."

لم يكن من الصعب على حازم أن يمنح جزءًا من نفسه، فابن عمه استعاد عافيته، وغادر مُشعًا بالفرح، تاركًا خلفه كلمة شكر لا تُثمن.

ثم جاءت أخته الكبرى، تطلب منه جزءًا من صحته لابنتها، كان قلبه طيبًا، ولم يستطع أن يرفض الطلب، بل أعطاها ما تحتاجه بلا تفكير، ومع مرور الوقت، توالت الطلبات من الأهل والأصدقاء، حتى أصبحت صحته تتلاشى شيئًا فشيئًا، وكأن عطاءه كان نهرًا يجف دون أن يُعبّر عن نفسه، لم يجرؤ أحد على العودة له، حتى من أعطاه جزءًا من صحتهم، لم يُعيد له حتى نصف ما أعطى.

عندما ازداد مرض حازم وبدأ يضعف أكثر، أدرك حقيقة مؤلمة: لقد احترق من أجل الآ خرين، ولكنه لم يُستجب له عندما احتاج إليهم.

في تلك اللحظة، اجتاحت عقله موجة من الوعي، كأنما أُزيح عنه غطاء يُخفي رؤية واضحة، أدرك أن الحب يجب أن يبدأ من الذات، وأن العطاء بلا حدود قد يؤدي إلى الفقر الروحي والجسدي.

في تلك اللحظة، اتخذ قرارًا حاسمًا: أن يسترد قوته وكرامته، قد استغرق التعافي وقتًا، لكنه كان مليئًا بالتفكر الذاتي.

بعد فترة من التعافي، عندما عاد إلى قوته، جاءه أولئك الذين كانوا يتوقعون أنه سيظل متاحًا لهم، ولكن حازم، وقد نضجت روحه، أغلق قلبه أمام الطلبات، وبدلا ً من تلبية رغباتهم، بدأ في توجيه رسالة عميقة:

"اعتمدوا على أنفسكم، لا تتوقعوا مني أن أكون مصدرًا لنيل رغباتكم."

لقد تعلم أن القوة الحقيقية تكمن في الاستقلالية، وأن على الآخرين أن يتحملوا مسؤولية صحتهم وسعادتهم.

أصبح حازم الآن رمزًا لقوة الإرادة، ليس فقط من خلال عضلاته، ولكن أيضًا من خلال حكمة تجربته، ويحمل رسالة مفادها أن العطاء يجب أن يُؤطر بحدود، وأن الكرم الحقيقي يتطلب وعيًا ومسؤولية.

وهكذا، غدت حكايته درسًا في الحياة، دعوة للاعتماد على الذات، حيث يتوجب على كل فرد أن يكون قائدًا لنفسه، في عالم يموج بالتحديات.

****

سألت نفسي بعض الأسئلة وأجبت عليها بتفكر:

لماذا يرى بعض البشر في الآخرين وسيلة لتحقيق أغراضهم؟

لأنهم يعيشون في غياب التعاطف، ويرون الطيبة مجرد فرصة لاستغلالها لمصالحهم. لذا، علينا أن نكون حذرين، فلا نجعل من أنفسنا طرقًا تُداس تحت أقدام الأنانية.

كيف يتصرف المرء في مجتمع ذئبي؟

عليه أن يمتلك الشجاعة، وألا يكون خروف، وأن يتعلم فن وضع الحدود التي تحمي كيانه. يجب أن نكون واعين لطبيعة الثقة التي نمنحها للآخرين، لنحافظ على سلامتنا النفسية.

أثناء تأملي، لاحظت ارتباك البعض، وعكست وجوههم الحيرة والخجل. كانت رسالتي قد أثرت فيهم، وتوصلت إلى حقيقة أن طيبتي ليست عيبًا، بل قوة حقيقية، ولكنها تتطلب حكمة في استخدامها.

لذلك يجب أن يكون شعارك الآتي:

"للذين يسعون لإنارة طرقهم على حسابنا، نقول لهم: نحن لسنا مصابيح تطفأ لإضاءة دروب الآخرين."